دراما من أجل التعلم

حوار بين دوروثي هيثكوت وغيفن بولتون*

غ ب: إذن، لم يكن درسي حول التنمر يقوم على طريقة «عباءة الخبير» بالفعل؟

د هـ: ليس تماماً. لا يكفي فقط إعطاء الطلاب شعار الخبير.

غ ب: لكن منذ بداية أداء الدور عوملوا كبالغين ومشورتهم كانت مطلوبة.

د هـ: نعم، لكنك لا تزال تلصق عليهم علامة فقط. والأمر بحاجة إلى أكثر من ذلك.

غ ب: غير أنهم كبروا بأدوار الخبير الخاصة بهم، بينما استمر الدرس. لقد استوعبوا المشكلة ووجّهوا أسئلة أفضل، وعلى الأقل بعضهم فعلوا ذلك.

د هـ: ما كنت تطلبه من أولئك الأطفال البالغين ثماني سنوات كان معقداً. فقط عدّد المهارات التي كنتَ تحث طلابك على استخدامها:

- توجيه أسئلة تتطلب تحقيقاً.
- تقييم استجابات شفهية وغير شفهية.
- قراءة بين سطور الأجوبة، حيث احتجبت الحقيقة.
- تمييز لماذا احتاج الناس (ملفين، الطاقم، وربما أولياء الأمور) لحماية أنفسهم.
- فحص الحروف بالنسبة إلى (غران) بغرض التضمين.
- تقاسم نتائج البحث مع بعضهم وتمحيصها وفقاً للأولوية.
- تحضير أسئلة لتوجيهها في ضوء النتائج الجديدة.
- اختيار ملفين لقول الحقيقة.
- الانتقال إلى التعميم بشأن ما يثير الخوف ووصف سياقات أخرى ربما تلائم المشكلة.
- نصح مدير المدرسة كيف يحدد إشارات التخويف.
- إيجاد اللغة الرسمية المختارة لتقرير مكتوب.

لا شك في أن واحداً أو اثنين من الطلاب قد أظهر بعض المهارات غير المرتبطة بشكل طبيعي بالمرحلة الثانية، فالدراما الخاصة بك كانت تضعهم تحت وطأة الضغط للعمل بسرعة واستخلاص شيء ما. لكن، لكي يستمر التعلم الحقيقي، لا يحتاج الطلاب إلى تعزيز هذه المهارات من خلال الممارسة فترة من الوقت فحسب، بل يحتاجون أيضاً إلى أن يكونوا واعين لمهاراتهم ومفاهيمهم الجديدة وهم يكتسبونها -أي عليهم أن يدركوا ما يتعلمونه- ثم عليهم أن يتحملوا المسؤولية في مرحلة ما عن تعلمهم الخاص. ولعل طريقة عباءة الخبير يمكنها أن تفعل ذلك كله، ودون أعضاء من الصف يقومون بدورهم التقليدي للطلاب/المتعلمين.

غ ب: لكن، إذا كنتِ تواجهين مهمة معالجة موضوع التنمّر، ماذا كنتِ ستفعلين؟

د هـ: سوف أطلب جلسات عدة، وليس جلسة واحدة فقط.

غ ب: لكن ذلك لن يكون مقبولاً للمدرسة، قضاء وقت طويل على الاستقواء (التنمر) على الرغم من أهميته!

د هـ: عندئذ سوف تفتقد المدرسة النقطة المتعلقة بطريقة عباءة الخبير التي تعدّ على الدوام طريقة للمنهاج بأكمله، وليس شأناً خاصاً بإقصاء موضوع فحسب. فأي شيء تريد أن تعلّمه يجب أن يكون متناغماً مع المعلومات والمهارات داخل المنهاج. لذلك، فإن الجلسات الخمس أو الست في دور لنا كخبراء، لن تقتصر على الاستقواء (مع أن ذلك سوف يتحول بالطبع إلى مجال تعلم نقدي)، وسوف تغطي الجلسات الخمس أو الست أوجهاً عدة مختارة للمنهاج: علوم، رياضيات، لغة، فن، . . . الخ. فالاستقواء يبرز عندما يكون الوقت مواتياً؛ أي عندما تكون المهارات والمعرفة اللازمة لمعالجة الاستقواء قد استُخدمت في تنفيذ مهام مبكرة.

غ ب: أنتِ تقصدين تأخير الاستقواء إلى حين ممارستهم مهمة أخرى أكثر سهولة؟ أي أنكِ سوف تعطينهم نوعاً مختلفاً عن المشكلة المدرسية للتعامل معها قبل مشكلة الاستقواء؟

د هـ: أعتقد أنني ربما أريد توسيع طبيعة خبرتهم لإعطائهم مساحة أكبر، بحيث لا يبدو كل شيء مرتبطاً بالتدريس. فالطلاب على الأرجح أكثر استعداداً للاضطلاع بدورهم إذا كانوا بعيدين عن وضع له علاقة بالصف: شيء يشبه إلى حد كبير العمل التجاري، حيث يكونون هم أنفسهم مهنيين يعملون كخبراء في حل العُقد.

غ ب: عندما تقولين «عمل تجاري»، يتشكّل لديّ انطباع بأنكِ تتصوّرين مكاناً ما، وليس مجرد مجموعة من المستشارين المحتملين.

د هـ: هذا صحيح. مكان حيث يقع الفعل، وحيث تُنفّذ المهام بقدر عالٍ من المسؤولية. وهذه المهام سوف تُصنّف بعناية بقدر صعوبتها. على سبيل المثال «عقد» أولي لمن يعالجون المشكلات ربما يكون له علاقة بإعادة تصميم مساحة مكتب مزدحم أصلاً، بحيث يستوعب موظفاً إضافياً (ثمة العديد من مجالات المنهاج هنا)، في حين تتم في الخطوة الثانية أو الثالثة تهيئة عمل المكتب

لاستضافة شخص دخيل (الأمر الذي يتضمن بالطبع تحقيقاً في القيود المفروضة جراء هذا العبء، وبالتالي التحرّك نحو إجراء مقابلة مع ملفين).

غ ب: إذن، طريقة عباءة الخبير هي سلسلة مهام لها علاقة ببعض العمل التجاري الاستشاري.

د هـ: ليس بالضرورة. ففي اختيار «معالجي المشكلات»، تكون قد جعلت هناك موازياً لدرسك فقط يا غيفن، بحيث تستخدم من خلاله العلاقة الاستشارية. وبدلاً من ذلك، يمكننا أن نكون رواد فضاء يخضعون لاختبارات الشخصية، أو مصممين/ مهندسين معماريين لبيت تسكنه مجموعة من الناس. فالمشروع الحقيقي ليس بذي أهمية، لأن الالتقاء بالناس في أي وضع عمل هو بحد ذاته قضية اجتماعية مركزية. ولا تزال اقتراحاتي المبكرة بشأن تعديل مساحة المكتب أو استيعاب شخص بمواصفات معينة تؤثر على العمل (العمى، على سبيل المثال، أو الطول المفرط) يمكن تطبيقها على رواد الفضاء أو المهندسين المعماريين. فالظروف تتغير مع السياق. ورواد الفضاء سيخضعون لمحدودية المساحة الخاصة بهم، لذلك ففي حالتهم ربما يحتاجون إلى قطعة تجهيزات إضافية، أو شخص من فريق آخر: التكيّف مع الاختلاف يقع في صميم موضوع الاستقواء.

وفيما يختص بالعقد، هذا دائماً ما يتعلق بالموافقة على: أ) على السياق المحدد. ب) إننا «سوف ننفذه». فالشركة الاستشارية هي واحدة من أنواع عدة من المؤسسات، أولئك الذين يقدّمون خدمات هم فئة أخرى يمكن أن تناسب شركتك لحل المشكلات. وهؤلاء ليسوا نوع المؤسسة نفسه، ولا يمكنهم أن يتطوروا وفق الخطوط نفسها. فمهندسو الغاز أو المياه، على سبيل المثال، سيكون الجزء الأكبر من عملهم تقديم الخدمات أكثر من النصح والمشورة. والأرضية المشتركة هي أن كل عضو في المؤسسة عامل ويعمل بحسب مسؤوليات فريق ويتقاسم جميع الطموحات والمهارات، وفي اللغة الحديثة للعمل التجاري يقرّ رسالة الشركة التي يعمل بها ويؤيدها.

ومهما كان اختيارنا، علينا أن نؤكد أن جميع مجالات المنهاج التي نريدها متاحة: الحساب والتقدير وأنظمة الحديث والكتابة بجميع أنواعها، والقراءة والتمعن بالدرس، ويمكن أن تكون هناك نزعة تاريخية، علمية، جغرافية أو أثرية كما يتطلب المنهاج. وبوضوح، فإن سياق حل المشكلات ملائم لمجموعة بارعة -على غرار ما كان لديك للتعامل مع صفك المستقوي- لأنني أريد من أفرادها في النهاية أن يصنّفوا مشكلتهم الخاصة. درسك بالطبع سار بشكل جميل كونه مخططاً لجلسة واحدة. غير أن طريقة عباءة الخبير سوف تحتاج وقتاً أطول، ويكون لديها فرصة أفضل لمزيد من المعالجة في المدى الطويل.

غ ب: نعم، هذا هو الوضع الحقيقي، فهل ستكون ثمة نوعية تعلم مختلفة عندما تُمهد الطريق بشكل أفضل وخلال فترة أطول؟

د هـ: لهذا السبب نحن نكتب هذا الكتاب.

غ ب: إذن، من أين نبدأ؟ إلى حد بعيد أنا متمسك بثلاثة جوانب أعتقد أنني فهمتها؛ أولاً: الشيء المحدد الذي تعرضين تعليمه ينبثق من مهام المنهاج. ثانياً: يجب أن يكون الطلاب مدركين لما يتعلمونه طالما أنهم يسجلون ويقيمون باستمرار المعرفة والمهارات المكتسبة حديثاً. ثالثاً: يجب أن يصبحوا مسؤولين عما يتعلمونه، أي أن يجعلوه أمراً واقعاً. أنا بعيد جداً عن فهم كيفية قيامك بذلك، لكن دعينا نبقى مع هذه المبادئ أو الفلسفة في الوقت الراهن. هل لديك أي ملاحظات فلسفية أخرى؟

د هـ: الكثير! فأنا أعتبر أن عمل عباءة الخبير يصبح مسرحية اجتماعية عميقة (وأحياناً شخصية) لأن: أ) الطلاب يعرفون أنهم يدخلون إلى عالم القصة الخيالية. ب) يفهمون القوة التي يمتلكونها داخل تلك القصة للتوجيه والإقرار والتوظيف. ج) «المشاهد» فيهم يجب أن يتم إيقاظه ليستوعبوا عالم الفعل والمسؤولية ويستمتعوا به حتى وهم يؤدون عملاً فيه. د) وكذلك هم يكبرون في الخبرة من خلال مجموعة مذهلة من المؤتمرات التي يجب تسخيرها، لأنهم إذا كانوا صُناع أشياء (على سبيل المثال، أحذية، فساتين حفلات، أو طائرة) يجب ألا يُطلب منهم (ضمن القصة) أن يخلقوا أشياء حقيقية. وإذا اضّطروا للقيام بذلك، فإن انعدام خبرتهم سوف يتضح على الفور. لذلك، تُستخدم المؤتمرات لتجنب التصنيع الحقيقي. هم في الواقع يصممون ويعرضون ويوضحون ويرسمون لنزع القوالب أو إزالتها تماماً كما تفعل مثل هذه الشركات. وباستثناء صنع شيء حقيقي بمواد حقيقية، سوف يعمل الصف بكل طريقة بينما يتقاسم الناس عمل المشروع.

غ ب: مثل عمال صغار جيدين؟

د هـ: بالتأكيد لا. فليس هناك قسم مستخدِم/ مستخدَم في نوع عمل عباءة الخبير. ويبدو هذا النظام بالنسبة لي أكثر قرباً من المسرحية الحقيقية التي يكتشفها الأطفال لأنفسهم ويتوقفون عندما يملونها، وأكثر قرباً من أي مسرحيات صفية خيالية تفتقد إلى إطار «وجهة النظر».

غ ب: ماذا تقصدين بـ«إطار وجهة النظر»؟

د هـ: عندما توجّه الكاميرا قبل التقاط صورة، فإن الزاوية تحكم السيطرة على ما يُرى: إنه مشهد مختار يجعل الدخول إلى الصورة (في الدراما، الدخول إلى القصة الدرامية) ذا مغزى ومنضبطاً.

غ ب: غالباً ما سمعتك تسألين المعلمين «هل هناك أي شيء دائماً ما يتعلمونه بغض النظر عما تعلموا؟» هل ثمة شيء ما في طريقة عباءة الخبير يجب أن يُعلّم على الدوام؟

د هـ: في مسرحية ديلان ثوماس (Under Milk Wood)، هناك شخصية حانوتي «يقيس بعينيْه المارة من أجل الأكفان». وهذا ما أسميه مشهد العالم لدى حانوتي، فعينه المهنية متأصلة بعمق في نظام حياته القيمي الذي يسيطر على طريقة رؤيته للعالم. إنه لمشهد يفترض أن عباءة الخبير يمكن تطويرها لدى الطلاب.

غ ب: دوروثي، إذا حاولت أن أمرّر للمعلمين ما أعتقد أنه الهدف من الدراما في المدارس، سوف أتحدّث بلغة يُستشف منها: 1) تغيّر في فهم المضمون؛ أي إدراك شيء جديد أو متجدّد. 2) تحسّن في مهارات الحياة، بما في ذلك اللغة بشكل شامل. (3) مهارة متنامية في استخدام الشكل الفني الدرامي. أين تقف هذه الأهداف الثلاثة من رؤيتك للعالم؟

د هـ: تصنيفاتك الثلاثة ربما تنطبق تماماً على عمل عباءة الخبير في أي وقت، لكن الاستغراق العميق مع الوقت الطويل هو الذي يؤدي إلى الاستحواذ المنتج، وهو ما أرغب في رؤيته وهو يتطور أكثر فأكثر. أفكر (في عالم تعليمي مثالي - أمامنا طريق طويل للسير

فيه) بعمل سنوي، لأن العمل، مثل ثنيات القماش، يتطور باستنباط مستقبله وطيّه من جديد.

غ ب: أنا حيران!

د هـ: خمسة مستويات تبدو مهمة لجميع أشكال التنمية الاجتماعية/ الثقافية. [انظر الرسم التوضيحي في الشكل 1-1]:

أولاً. أنا أقوم بمهمة، أقوم بـ **فعل**.

ثانياً. بسبب **دافع**.

ثالثاً. وعليه يكون **استثماري** في . . . . . .

رابعاً. **نماذجي** التي جذبت هذا الاستثمار هي . . . . . .

خامساً. لأنه هكذا يجب أن تكون الحياة – موقفي أو **قيمي**.

على سبيل المثال:

الفعل: أنا ألتقط قطعة من المهملات.

الدافع: لوضعها في صندوق للاحتفاظ بها من أجل استخدامات أخرى.

الاستثمار: يجب أن نميز في كل الأوقات بين المواد المفيدة والتالفة.

الشكل 1-1: مستويات الالتزام في التنمية الاجتماعية/ الثقافية

دائماً ما تتكون المهام من الفعل الذي تصبح من خلاله المستويات المتعمقة مستخدمة.

المستوى 1: أفعل هذا

المستوى 2: دافعي هو:

المستوى 3: أستثمر في:

المستوى 4: نماذجي هي:

المستوى 5: هكذا يجب أن تكون الحياة.

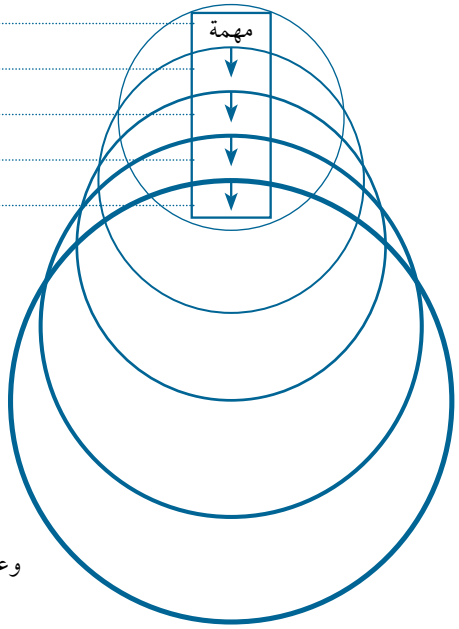

وعليه، إن القيام بالمهام يحمل في طياته معاني أعمق، بينما يصبح الأفراد مستعدين للانشغال بمستويات الالتزام.

نماذج: تجربة، نماذج خاصة بالوالدين (إما للمتابعة وإما المعارضة)، القواعد التي أوافق عليها، أو شخص ما أعجب به أو أريد أن أنافسه.

قيم: بيئتي لا تهمني وحدي فحسب، بل تهم أيضاً النفاية نفسها، التي ربما يُعاد تصنيعها الآن. لا شيء يعتبر بلا جدوى. أنا لست بهذا القدر من الأهمية حتى لا أستطيع خدمة البيئة عن طريق التقاط الأشياء عن الأرض. لقد أصبح ذلك موقفاً عالمياً: هذا ما أفعله مهما كان ما أفعله.

غ ب: يبدو لي أن هذا النموذج لديه صفة موضعية كما لو أن نفسية شخص قد أصبحت غير متغيرة للأبد داخل قيد من: الفعل/ الدافع/ الاستثمار/ النماذج/ القيم. وعلى افتراض أنكِ تقترحين أن نعزّز جميعنا مثل هذا النظام من حولنا مع أطفال بسن تسعة أعوام يستقوون على قادمين جُدُد. هل يعكس موقفهم شيئاً من هذا القبيل؟

الفعل: سوف أشارك في مضايقة ملفين.

الدافع: أكسب وضعاً على حساب شخص آخر.

الاستثمار: يجب أن أتأكد في كل الأوقات بأنني أشاهَدُ وأنا أجعل من الشخص «المناسب» ضحية.

النماذج: تعلمت هذا من القادة الذين أتلهف للتأثير فيهم.

القيم: هكذا «كيف تكون الحياة» – ولا تأويلَ أخلاقياً من جانب البالغين سوف يغيّر من ذلك.

وعندما نتحدث عن التعلم من خلال الدراما، هل نقول إذن إن التغير يمكن أن يبدأ بالحدوث فقط، إذا كان الأفراد معنيين بإدراك كيف يعمل هذا النموذج في أنفسهم؟

د هـ: نعم، هذا مطابق بالتأكيد لعمل عباءة الخبير. دعنا نرى كيف يمكن أن يجعل المعلم هذا النموذج يعمل لمصلحة شركة لحل المشكلات:

الفعل: نضع فنجاناً إضافياً على صينية قهوة المكتب.

الدافع: بحيث يكون لدى كل شخص فنجان عندما يحين وقت الاستراحة.

الاستثمار: الناس يحبون أن يشعروا بأنهم جزء من المجموعة (أو، على نحو ساخر، على غرار مثالك المذكور أعلاه: إنه يوفّر

حجة!).

النماذج: نحن نتكيّف مع ملاحظة فترات تناول الطعام والمشروبات بشكل منتظم.

القيم: أماكن العمل تمنح امتيازات وتطلب مسؤوليات.

وفيما إذا كان تصنيفك، يا غيفن، الواقع في ثلاث فئات: فهم المضمون والتطور في مهارات الحياة والتطور الجمالي/الفني على علاقة بالموضوع، فذلك يعتمد على ما إذا كان سياق الدراما المحدد يوفّر تنوّعاً للاستجابة الفردية ومستويات السلوك التي تعرضها طريقة عباءة الخبير. والمشكلة إزاء كثرة الدراما الصفية أنه يتشكّل ضغط قوي لدى المجموعة للتكيف مع أي سلوك أو موقف ينمّ عن موافقة الأقران، في حين أنه في عمل عباءة الخبير، حيث استقلال مجموعتها الصغيرة وغياب النوع العادي لـ«حديث المعلم»، يظهر الاستعداد الفردي لدى الطالب. أستطيع أن أشاهد المستويات الخمسة التي يعمل عليها الأفراد، مستخدمين النموذج المذكور أعلاه وخدمة هذه المستويات الخمسة، كونها تكشف عن نفسها في سلوكيات مختلف الأطفال.

غ ب: هل تقولين إن هناك شيئاً له علاقة بالتسلسل الهرمي بشأن قائمتك؛ بمعنى أن بعض الطلاب ربما يكونون في مستوى الفعل، وبعضهم في مستوى الدافع، وبعضهم في مستوى الاستثمار أو النماذج؟ في حياتهم الخاصة، سوف يعملون على جميع المستويات، بشكل غير ناضج أو غير واع. فهل يصبح الأمر هرمياً عندما يقوم الطلاب بدور ربما يبدأ بطفّل يقلّد ببساطة الأفعال المتوقعة المطلوبة، ثم يتحرك ليعرف لماذا تعتبر الأفعال ضرورية؟ هل هذا ما تقصدينه يا دوروثي؟

د هـ: ما فعلته يا غيفن بتحليلك لصفك المستقوي هو تطبيق النموذج نظرياً، وبشكل عام على مجموعة من الأطفال في إحدى المدارس، حيث كان الاستقواء صفة سائدة. هذا على ما يرام ما دام الأمر كذلك، وهو ما نفعله جميعاً عندما نحضّر للالتقاء مع مجموعة أطفال لا نعرفهم. لكن هل استخدمتَ النموذج بشكل تشخيصي، بحيث تقيّم أين وقف الطلاب وهم يعملون في دور؟ وهل استجبتَ لكل منهم بحسب ما يفعلون؟

غ ب: لم أستخدم هذا النموذج بالتأكيد، لكنني أتوقع بأنني تكيّفتُ، بطريقة ما، مع ما قرأته كفرد له حاجات.

د هـ: المرء يتوقع أن تكون افتراضاتك العامة دقيقة بكل معنى الكلمة: النموذج يقترح، بشكل صحيح تماماً، موقفاً راسخاً بشأن الاستقواء. ومن المفترَض (من الغباء) بالنسبة إلى معلمي الدراما أن يعتبروا أن بمقدورهم امتلاك تأثير ضئيل على مثل هذا الموقف الراسخ عن طريق مجهود واحد فقط. الآن، يأخذ عمل عباءة الخبير وقتاً وتدرجات غير محدودة للمشهد المنظور، وكل واحد يتم التفكير به ملياً (بطرق عدة) كمهمة موجّهة نحو الفعل بقصد. فالثقافة تُخلق، بحيث يصبح سير المهمة شلالاً ممكناً من قطرات نياغارا، ويسمح بـ«أدوار صغيرة شاقة»، بينما يكون «التوتر الدرامي الأكثر إثارة للخيال» غير بعيد على الإطلاق.

غ ب: حسناً، دوروثي، الفكرة وصلت، وإن لم تُستوعب بشكل كامل! الآن أنا أعرف أنه في هذا الفصل الأول كنا نحاول استنباط بعض المبادئ خلف عباءة الخبير. ومع ذلك، قبل أن نواصل فحص الأمثلة الأخرى، هل لكِ أن تعطينا صفة مميّزة لنوع حديث المعلم والأنشطة الطلابية التي ربما تكونين قد انشغلتِ بها بنفسكِ؟ وهل أدخلتِ طريقة حل المشكلات إلى صفي في المرحلة الأساسية الثانية؟

د هـ: نُتف قليلة فقط . . .

ألا تعتقد أننا لو كرّسنا عقولنا لها، لأمكننا على الأرجح أن ندير عملاً تجارياً من شأنه أن يدعم أعمالاً تجارية أخرى لحل المشكلات التي تواجهها- مثل نسيان دفع الأجور للناس في الوقت الصحيح من الأسبوع.

المرحلة التالية

أنا متأكد أنه يمكننا أن نفكر بالكثير من المشكلات التي يقع فيها رجال وسيدات الأعمال من خلال عدم حرصهم الكافي. . . .

فيما يلي قائمة بما تعنيه «مشكلة في العمل التجاري» بالنسبة لهذا الصف بالتحديد.

المرحلة القادمة . . . تسمية شركتنا

المرحلة القادمة . . . تطوير ترويسة وأسلوب إعلاني.

(لا شيء من هذه الأمور يحتاج أكثر من سبورة/ طباشير وحديث، وبعد ذلك مهمة النقل على الورق- سواء من جانب المعلم أم الطلاب.)

المرحلة القادمة . . . . اختبار إعلاننا في الخارج على معلمين آخرين، أطفال، أولياء أمور، كل منهم، المدرس الأول، طاقم الكانتين، . . . وهكذا. ويتطلب ذلك بعض التنظيم لأن الطلاب سوف يحتاجون لتأطيرهم بعناية لكي يحافظوا على قوتهم للعمل وهم يبحثون بالفعل عن استجابات لإعلاناتهم. المراحل سوف تكون موازية لتلك المتجسّدة في مشروع حياة حقيقي:

أولاً. الأخذ بعين الاعتبار بعناية ما يُؤدى في دور، بيان مهمتنا. . . قيمنا. . . الصورة التي نرغب في نقلها. . . أسلوبنا.

ثانياً. تصميم ما يُؤدى في دور، إعلاناتنا . . . الأخذ بعين الاعتبار الزبون المستهدف الذي يخضع لاختبار من أجلنا.

ثالثاً. الأخذ بعين الاعتبار ما هو خارج الدور، الفرص المدرسية الحقيقية التي ربما نعرض عن طريقها نماذجنا الإعلانية، من سيكون حاضراً للاختبار، وأي مشكلات (وقت، أرقام) ربما تطرأ.

رابعاً. التخطيط لإعداد الحدث بحيث يفهم المشاهدون دورهم في الإجراءات المتخذة، ويكونون مهيّئين لأخذ أدوار الطلاب على محمل الجد (دون تظاهر!)، ومستعدين لتفحّص التصميمات والاستجابة لها.

تعليقات غيفن

يبدو أن هناك عدداً من الافتراضات المؤثرة في استخدام دوروثي هيثكوت لعمل عباءة الخبير التي تنشر حدود ما هو مفهوم عادة عن طريق الممارسة الصفية. على سبيل المثال، التلاميذ والمعلم مدعوون

للمشاركة في نوع ما من الدور. وهذا يشكّل تحدياً لمعلمي الدراما التقليديين الذين، على الرغم من أنهم معتادون على الانهماك بالتظاهر، فإنهم ربما لا يميزون أي شيء مألوف في ما تقدمه دوروثي. ثمة سبب آخر للارتباك في مفهوم دوروثي للمسرح، وبشكل ضمني أن ما تقوله حتى الآن ناشئ عن عملها في المسرح، بمواد تبدو على الأرجح غير مسرحية!

دعوني أحاول تلخيص المواصفات الرئيسية التي تميّز هذه الطريقة للتعليم كما برزت حتى الآن في هذا الفصل الأول. القائمة البسيطة التي يتطلبها عمل عباءة الخبير ربما يكون بسيطاً:

1. اتفاق بين المعلم والطلاب على القيام بدور وظيفي (على سبيل المثال، ليس شخصية بل أكثر من ذلك، شخص خبير في إدارة شيء ما).
2. تلك الإدارة تأخذ شكل مهامّ قصيرة المدى، دائماً بالانتقال دفعة واحدة من صنع إنتاج بالفعل. فالشعور بالاهتمام بما يفعلون والقيم التي يدافعون عنها ليست زائفة، كما هو الأمر في بعض أنواع الدراما، لكنها تسمح بتراكم الوقت بشكل طبيعي.
3. المهام عادة ما يطرحها المعلم، بينما يكون الطلاب معظم الوقت في مجموعات صغيرة تجتمع بين حين وآخر لاتخاذ قرارات بشأن سياسة ما أو توحيد عمل معين.
4. لكي نستنبط مهمة، يقيم المعلم مستوى المهارة ونوع المعرفة ومجال التعلم المستخدم والصحة الاجتماعية للصف.
5. يُنظر إلى كل مهمة من جانب المعلم كخطوة مختارة بعناية ضمن سلسلة طويلة من المهام المصنفة.
6. الصفة الرئيسية لدور المعلم ستكون تلك التي يقوم بها شخص ما يعتمد على أدوار الطلاب لنصحهم وتوجيههم بشأن مهامّ فورية، ويمتلك مع ذلك حساً قوياً بالتاريخ الماضي وكيف يجب أن تتم الأمور.
7. وفوق هذا وما يتجاوز المهارات المحددة ومجالات أخرى واضحة للتعلم، يحقق المعلم هدفاً مستمراً لنشر وعي الطلاب وجعلهم يدركون كيف تكون المسؤولية الناشئة عن خبرة معينة جزءاً من نظام قيمي.

عامل البعد: استخدام طريقة عباءة الخبير عبر المنهاج

على الرغم من أن المنهاج يتكون على الأرجح من موضوعات منفصلة، فإن الاعتراف بجوانبها الشخصية والاجتماعية والمجتمعية وما يتعلق بنظرية المعرفة، من شأنه أن يمنحها حساً بالترابط وهدفاً شمولياً لتمييز مجالات التعلم. ففي المنهاج الوطني البريطاني يُشار إلى مقومات المنهاج التكاملي بـ«البعد».

والميزة الفريدة لطريقة عباءة الخبير في التعليم هي هذا البعد، فهذه النظرة إلى جزء من الموضوع من منظور كلّي تُبنى في قلب هذه الطريقة. وأي موضوع أو مجال تعلم يتداخل كل منهما مع سلسلة واسعة من المعرفة، والأكثر أهمية أن المتعلم يدرك أنهما مترابطان.

وربما يُحدّد هذا البعد ويُؤكد بوضوح في وثائق المنهاج الرسمية والوطنية، لكن ذلك لا يضمن أن الرجوع إلى المنهاج التكاملي من جانب المعلم والطلاب سوف يحدث. ففي الحقيقة، تعمل وسائل التعليم التقليدية ضد هذا الاحتمال. ولعل تقسيم المنهاج إلى موضوعات منفصلة يشجع المتعلمين على فهم الجيوب المتميزة للمعرفة. فبعض المدارس ومؤسسات تعليم المعلمين واعون للخطر، ويسعون إلى التغلب على المشكلة، على الأقل مع صفوف التمهيدي والصفوف الإعدادية، عن طريق إدخال «مشروعات» أو «موضوعات». من الناحية النموذجية، يُتوقع من المعلمين الذين لا يزالون طلاباً أن يكونوا قادرين على تقسيم مشروع مركزي لصفهم غني في عناصره التي تغطي جميع موضوعات المنهاج، بحيث تحافظ الخبرة الإجمالية على كل من الاستمرارية والترابط.

على السطح، يبدو هذا مرضياً. فالطلاب يُعطون مشروعاً -حول الطقس على سبيل المثال- فيقودهم ذلك إلى الجغرافيا والرياضيات والعلوم والفنون اللغوية والأدب وحتى الموسيقى؛ خبرة شاملة عن الطقس، أو هكذا يُزعم. لكن التنوع الواسع لأنشطة الطقس لا يقدم بالضرورة بعداً شمولياً. فما يثير انطباع الطلاب في النهاية ربما يكون شعوراً بأن هناك جوانبَ عديدةً ومختلفةً للطقس.

المعرفة مجزَّبة من جانب إنسان مسؤول

المشكلة إزاء تقسيم موضوع إلى أجزائه المكوّنة له أنه يبقى عملية تصنيف فكرية ملزمة. فليس ثمة مركز للمعرفة. هناك فقط عنوان وأقسامه العديدة. وتوفر طريقة عباءة الخبير مركزاً لكل المعرفة: هي مجزّبة لدى الطلاب من منظور إنساني مسؤول. وعليه، فإن الترابط بين جانب والصورة الكلية لا يستدعي التساؤل. هناك شعور، بحيث يكون أحد الجوانب شمولياً والعكس صحيح.

الإنسان المسؤول يجب أن يكون مقدّم خدمات وليس مستقبِلا

يُؤطّر المشاركون في عباءة الخبير كمقدمي خدمات ملتزمين بمشروع. وهذا الإطار يؤثر بشكل أساسي في علاقتهم بالمعرفة. فهم لا يستطيعون أن يكونوا مجرد مستقبلين «يُبلَغون» بالمعرفة. يمكنهم فقط أن يشتركوا بها كأناس لديهم مسؤولية. وهذه المسؤولية ليست لتزويد نفسها بالمعرفة، مع أنها وللمفارقة، هي ما يكتسبه الطلاب بشكل غير مباشر، ولكن للمشروع الذي تكفّلوا به. والمعرفة تتحول إلى معلومات، دليل، مادة مرجعية، مواصفات، سجلات إرشادات، نظم ولوائح، نظريات، صيغ، ومنتجات، وجميعها تخضع للتحقيق. هذا مشهد تعلمي نشيط وملح وذو مغزى، حيث يتم فيه استخدام المعرفة وليس مجرد أخذها فحسب.

ويجب على المعلم أن يخطط لأجل علاقة استجوابية مستمرة بين الطالب والمعلومات الخاضعة للبحث. وثمة نموذج واضح لهذا التخطيط مدعّم بسلسلة من الأسئلة. خذ المثال التالي الذي يكون فيه سياق عباءة الخبير رعاية قطيع من الماشية:

	أسئلة	أجوبة
1	إلى أي مدى يحتاج الطلاب المعلومات؟	المعلومات يجب أن تكون في مجال المورثات مع صف بسن 12 سنة.
2	من أي إطار مرجعي يجب أن يجري التحقيق في المعلومات؟	الطلاب مؤطرون كفنيين زراعيين منخرطين في مشروع بحث من أجل مزارعين هنود.
3	كيف ستُشكّل المعلومات وتُعرض عندما .....؟	تُقدم المعلومات بشكل ملفات مزارع يستقبلها الطلاب في البداية؟ إنجليزي يقوم بتربية قطيع من الماشية الأصيلة (هولشتاين) طوال ثلاثين عاماً، وفي حوزته جميع المعلومات الجينية المسجّلة بشكل صحيح، إضافة إلى معلومات عن كيفية إطعامها وإنتاج الحليب منها. السجلات على جهاز الكمبيوتر وبخط مكتوب ليكون متاحاً بسهولة أمام المبتدئين، وبخاصة ما يتعلق بالمعلومات الجينية. فعلى سبيل المثال، جميع الأبقار والثيران لها أسماء وأرقام يمكن تعقب سلالتها بسهولة عبر البنك الجيني.
4	أية مهام سوف تشغل الطلاب في التحقيق؟	يتطلب إطار مشروع البحث أن تستخدم ..... وجمع المعلومات؟ الأطقم الزراعية .. المعلومات الجينية القائمة للعمل بها والتوضيح بالأمثلة ما تتمتع به ماشية هولشتاين البيضاء والسوداء، وكيف يمكن تقليص حجمها بالتربية الجينية الوراثية لتكون جميعها بيضاء من ناحية اللون، لكي تعيش في مساحة صغيرة للعديد من المزارع الهندية. (هذه قضية حقيقية- هناك مزارع في الهند حيث تستطيع الماشية البيضاء الصغيرة أن ترعى تحت أشجار بطيئة النمو، وتأكل محاصيل تنمو خصيصاً كطعام للماشية. وجميع المعلومات الضرورية موجودة في سجلات. والمهمة المحددة لتغيير الحجم والتنبؤ باللون هي الموقف الاستجوابي. فعملية التسجيل تتم على أوراق كبيرة (أو على لوح أسود)، باستخدام «نص جيني» صحيح لسجلات المزارع.
5	أي وسائل تتطلبها المهمة؟	الوسائل هي السجلات الجينية، مواد الكتابة العامة، بما في ذلك أقلام حبر أحمر لتعقب النماذج الجينية عبر الأجيال. ويجب ألا يكون معلّم العلوم الذي يلعب دور المزارع متعجّلاً جداً في فحص سجلاته الخاصة. وهذا «البطء» هو جزء من عملية تمكين حلت محل مجرد الإبلاغ.
6	أي شكل سوف يُستخدم لحفظ المعرفة المكتسبة، بحيث يمكن تطبيقها في أوقات قادمة؟	في النهاية سيتم تضمين المعلومات في مقال يُنشر في مجلة أسبوعية خاصة بالمزارعين. وسوف يتشجع المزارعون للمشاركة في المشروع خلال السنوات الخمس القادمة.

الإنسان المسؤول في الطالب يتجاوز قدراته الحالية

تضع إحدى نظريات الاستعداد للتعلم (مشتقة من بياغيت وآخرين) حداً خاطئاً لقدرة الطالب. فهي تتجاهل الملاحظات الفيجوتسكية على سياقات التعلم المقرّرة اجتماعياً: في حضور بالغ مقتدر، يستطيع الطفل أن يتجاوز قدراته الخاصة في تنفيذ مهمة. ويعزز المعلم -في دور- هذا الأداء المحدد الخاص بالبالغين. والمعلم، من خلال دوره، يوفر نموذجاً ذا توقعات عالية للمشروع، بحيث يبدو في البداية ليس في المتناول، ولكن في الوقت المحدد يسعى الطالب للمنافسة: بتأطيره كإنسان مسؤول للمشروع، ليس لديه خيار سوى أن يسعى لتجاوز قدرته الطبيعية- ويكسر حدود المفاهيم المتجمّدة. فيما يلي نعرض لنموذجين من التفكير الجانبي للأطفال الصغار:

1. اضطر مزارعو ورود منذ ست سنوات إلى مساعدة قائدة طيارة تعود إلى عشرينيات القرن الماضي، إيمي جونسون التي استقلت طائرتها فهبطت بها لنقص في الوقود خارج حديقة الزهور الخاصة بهم، نصحوها بأن «لا تطير فوق الأزرق»، لأنها لن تكون قادرة على «العودة». وعندما سألت لماذا، فكروا بأن للأمر «صلة بشكل الطائرة والعالم».
2. أطفال بسن التاسعة يعملون في دور طلاب للتاريخ الطبي، فسّروا إلى «بورتريت»، وللدكتور ليستر، بأن مساهمته في الطب في القرن التاسع عشر التي كانت تتمثّل في استخدام حمض الكاربوليك، مهدت الطريق أمام الأطباء المعاصرين لاستخدام الضمادات، وأن سماعته القاسية استُخدمت من جانب ميكانيكيي السيارات للاستماع إلى «دقات قلب» محركات الاحتراق الداخلية، وكذلك دقات قلوب الأطفال وهم لا يزالون في بطون أمهاتهم.

الإنسان المسؤول يرى طريقاً أمامه

من المهمة الأولى تماماً يكون لدى الطالب حس «للذهاب إلى مكان

ما». في البداية سوف تتطور طريقة عباءة الخبير في أضيق الطرق، وبعد ممر ضيق يلفه الضباب ويبدو أنه ينتهي مع نهاية المهمة- كثير من العمل في المدارس يمكن أن يكون كذلك- فإن الاكتمال الناجح للمهمة الأولى يدعو الطالب للنظر إلى حيث سار والنظر إلى الممر التالي، وهو أكثر اتساعاً ونوراً، ورؤية مزيد من المكان الذي يسير فيه. وبينما هو يتعلم تقاسم الطريق الآخذة بالاتساع مع آخرين، ورؤية المهام كإدارة لمشروعهم، فإنه يربح تصوراً لمشهد طبيعي معقد. وهذا هو **البعد** الحاسم بالنسبة إلى عباءة الخبير، الذي غالباً ما يكون مفقوداً لدى الطالب المتعلم بشكل تقليدي.

معلمة طالبة تستخدم طريقة الموضوع

ونحن مسلحون بالإيمان النظري الراسخ بأن الأطفال يحتاجون للانخراط في عمل تعاوني يربطهم بمجموعات ومستويات واسعة ومتنوعة من المهام، وأن المعلم عنصر مساعد، فإننا نطمح لإعداد مشروع صفي يقوم على أساس نموذج لا يزال موجوداً في المنشورات التربوية. فالمعلمون يجدونه مجدياً ومريحاً لأنه، كما يبدو، يقدم نقطة انطلاق آمنة ودقيقة يمكن الاعتماد عليها. معلمتنا الطالبة تختار الصين كموضوع -إنها السنة الصينية الجديدة أيضاً- وتضع تصوراً لموضوعات فرعية كما يتضح في الشكل 3-1. هذا التصنيف في مجموعات يحدد إمكانية التعلم عن الصين من خلال تنوع كبير للمجالات المثيرة للاهتمام، التي تبدو متداخلة. والشكل على الصفحة، الذي يدل على تفكيرها، لا يوفر تنويهات بعمل منهاجي تكاملي، لكن من دون شك هي تتطلع إلى أن يحصل ذلك. هذا التخطيط سوف يرشدها لدى جمع المواد. فالانتشار المذهل للموارد سوف يتطلب كثيراً من التمحيص ومن ثم الاختيار أو الرفض لما هو مناسب أو غير مناسب «لسن صفها»- معيار آمن للمعلم التقليدي. سوف تجمع على الأرجح أساطير صينية، صوراً للتنينات، خرائط، لوحات زيتية، صناعات يدوية صينية حديثة، إحصائيات ووصفات طبية. وسيكون هناك موسيقى أصيلة وسلطانيات أرز وعيدان طعام، وحتى «كعك القمر»، طالما أن السنة الصينية الجديدة قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى.

ومع الانتهاء من إعداد تشكيلة يسيل لها اللعاب، تكون مشكلتها اللاحقة كيفية بدء الموضوع. على الأرجح أنها سوف تعدّ جدران صفها لتمتلئ بأعمال صينية مثيرة للانطباعات من إنتاجها هي وطلابها: خارطة صينية موضّحة بالمدن والمناطق الرئيسية، تنين صيني بخمسة أصابع، وصفات طبية، قائمة مأخوذة من مطعم صيني، حروف أبجدية صينية وإلى جانبها ترجمة بالإنجليزية، رسومات لسور الصين العظيم، قصص صينية وصور للصين الحديثة.

سوف تتخذ مهام الطلاب على الأرجح شكل مناقشة حية وبحث حول موقع الصين وماذا يعرفون عنها. وبطريقة ما، سوف يتم تسجيل أفكارهم، وربما يقدم كل طفل مساهمة شخصية للصف «كتاب عن الصين».

الشكل 3-1: معلمة طالبة تخطط مشروعاً حول موضوع الصين

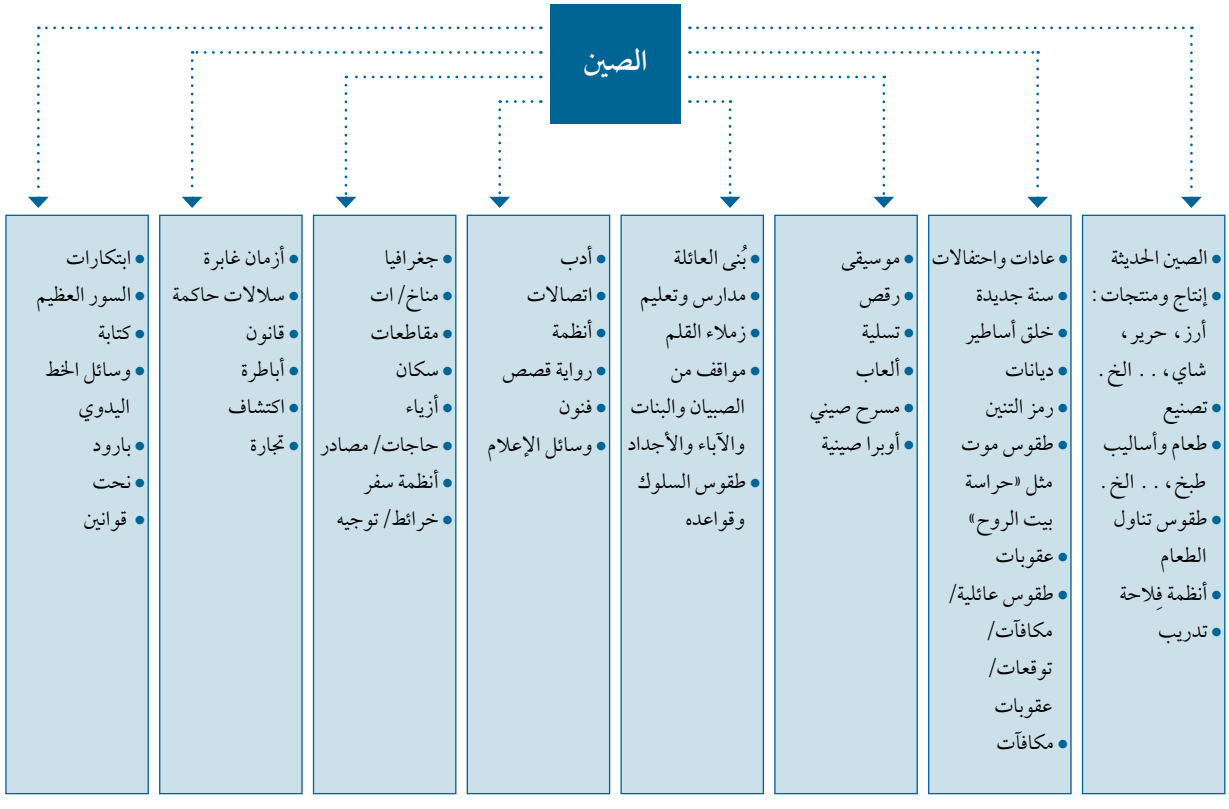

وربما ينظرون في الأطالس لتحديد مواقع توضع على «الخارطة الكبيرة». سوف تلاحظ المعلمة المهارات التي يشارك فيها الطلاب في عمليات البحث هذه. وسوف تتابع اهتمامهم وتضيف إلى معرفتهم أو توجّههم لمزيد من البحث حول الصين إلى موارد المكتبة المدرسية. وسوف تستجيب لكل ما من شأنه أن يُبقي كل واحد مشاركاً بفعالية في العمل، وتحاول في الوقت نفسه التأكيد على أن الجوانب المختلفة للمنهاج مغطاة.

المعلمة توظف طريقة عباءة الخبير في موضوع

للحصول على صورة أكثر وضوحاً لمنهجية عباءة الخبير، دعونا ننظر إلى معلمة وهي تطبقها على الموضوع نفسه في الصين. هي تسأل أولاً نفسها عدداً من الأسئلة:

1. ما نوع الناس الذين يحتاجون أن يعرفوا عن الصين؟

- مراسلو وسائل الإعلام
- وكلاء سفر
- مبشرون
- بعثات تجارية
- مشتغلون بالطب
- مقاولون يقيمون أعمالاً تجارية أو مصانع
- أطقم الأمم المتحدة
- أطقم السفارات
- مؤرخون
- منتجو تلفزيون أو صانعو أفلام

2. أي مجالات اهتمام سوف يتم تفعيلها بعمل يقوم به أنواع من الناس ورد ذكرهم أعلاه بالنظر لواجباتهم الأساسية والثانوية؟

3. كيف يمكن حفظ ملفات معلومات (صحيحة للمشروع) حالما ينشأ، بحيث يمكن استخدام المعلومات ثانية؟

4. كيف يمكن عرض معلومات بأقل ما يمكن من «الحديث»؟

لمساعدتها على إجابة الأسئلة من 2-4، تفحص معلمتنا قائمة الناس الذين يحتاجون إلى المعرفة عن الصين وتوزعها في فئات:

1. مشروعات خدمة، حيث لا يتم إنتاج بضائع، وحيث تكون جميع المهام لخدمة الناس الآخرين: بنك، فندق، مكتبة، مطعم، مستشفى، وكالة سفر، عيادة بيطرية، مخزن، محطة إطفائية.
2. مشروعات تصنيع تنتج أشياء: مصنع أحذية، مصنع ألبان، مخبز، مطحنة دقيق، مصنع بيرة، دار أزياء، صناعات الفولاذ، دار نشر، حديقة أعشاب تجارية.
3. مشروعات خيرية أو إدارية: OXFAM (منظمة الإغاثة من المجاعة)، الائتمان الوطني أو الإرث الإنجليزي (منظمات ترعى بيوت إنجلترا العظيمة والمواقع التاريخية)، جيش الإنقاذ، السلام الأخضر.
4. مشروعات الرعاية: بيوت لليتامى أو الأطفال غير المرغوبين، أنزال للمرضى ومن يوشكون على الموت، ملاعب، بنك جيني للحيوانات والنباتات، متنزه وطني، محمية طبيعية، وكالة خدمة اجتماعية.
5. مشروعات تنظيمية: محطات شرطية، جمارك، ضريبة، مكاتب هجرة، سجون، دوائر عدلية، الخدمات المسلحة.
6. حرفيون مهرة يحافظون على الأشياء: سباكون، كهربائيون، حجارون، نجارون، مصلحو أثاث قديم، أمناء الأرشيف.
7. مشروعات فنون: مسرح، أستوديو تصوير، معرض فنون، مركز حِرف، أوبرا أو نادي باليه.
8. مؤسسات تتكرّس لمساعدة الناس كي يتعلموا: مراكز تدريب رياضية، متاحف، حدائق حيوانات.

العديد من هذه المشروعات تبدو، على الأقل من النظرة الأولى، على غير صلة بالصين، لكن نظرة متفحصة أحياناً تكون مجدية بطرق غير متوقعة. ففكرة التقسيم إلى فئات مهمة جداً؛ لأن الغاية من أي مشروع -إلى حد ما- تؤثر على التفكير وتؤطّر للمهمة (البعثة).

وكالة سفر

بعد النظر إلى قائمتها المصنفة، تقرر معلمتنا أن إحدى وكالات السفر تبدو ملائمة لدراسة بلد أجنبي. الآن، سوف تقود وكالة السفر الطلاب بالتأكيد إلى تلك الجوانب ذات الصلة بالصين والمُدرجة في خطة المعلمة: الصين الحديثة، السور العظيم، الطعام والطهي، العادات، جميعها يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند ترتيب جولات سياحية وتذاكر. كما سيكون من السهل تخيّل الزبائن. وباستخدام تقليد الطلبات المكتوبة من زبائن يعينون تواريخ ويحجزون تذاكر، ... الخ، كل ذلك من شأنه أن يولّد مهمات للصف. يستطيع الواحد أن يتخيل الطلاب وهم مستغرقون يحدّقون في خرائط الصين المفصّلة، يخطّطون لرحلات لإقامة روابط مع عبّارات، قطارات، وحافلات، والتوضيح للزبائن في منشورات ما هو متوفر للسائح الراغب في السفر.

ومع ذلك هناك عقبة! فوكلاء السياحة والسفر يتعاملون مع مسافات وجداول وساعات على مدار اليوم. هم لا يفحصون قصصاً أو كتباً للنصوص التاريخية لكي ينصحوا زبائنهم، لذلك ليس من المعقول بالنسبة لهم أن يقوموا بهذا النوع من البحث الذي يحتاجه المعلم- بكلمات أخرى، وكلاء السفر لا يحتاجون أن يعرفوا.

وفد تجاري

وبناء على ذلك، فإن معلمتنا التي تتبع طريقة عباءة الخبير تنعم النظر في الفئات مرة أخرى، لترى ما إذا كانت ثمة فكرة أكثر جدوى. وماذا بشأن وفد تجاري يختبر إمكانيات بدء مشروع إنتاج سيارة في الصين؟ (لقد بدأت شركة فولكسفاجن بالفعل مثل هذا المشروع). هذا يتطلب بحثاً موثوقاً من جانب أعضاء الوفد:

1. أين تقع المدن التي يمكن تصدير البضائع منها وإليها؟
2. أي أنظمة نقل متوفرة للكثير من المواد؟
3. أي صناعات تموينية موجودة؟ مصانع فولاذ؟ مولدات للطاقة؟ هل هناك قوة عمل متوفرة؟
4. هل سيضطر الناس الذاهبون إلى الصين لبدء المشروع إلى التكيف مع أساليب الإسكان ونظام التعليم؟
5. كيف ستؤثر الشؤون الثقافية –ممارسات دينية، حياة العائلة، ساعات العمل، سلطات العمل، أخلاق العمل، أساليب المخاطبة– في المشروع؟
6. ما هو موقف الصينيين من بلدنا والأجانب عموماً فيما يختص بالتجارة؟

كل هذه الأمور يبدو أنها تؤكد فكرة وفد تجاري، لذلك تبدأ المعلمة بتنظيم المهام. فما هي الانطباعات التي تنشأ من القائمة الواردة أعلاه لما سيقوم به الطلاب؟ الخرائط ستكون مهمة فيما يختص بالبندين الأول والثاني أعلاه. وهما بحاجة إلى مزيد من التفصيل والمتابعة، لذلك فإن نوع كتاب النصوص الذي يشتمل على الخرائط ليس فعالاً. فإحدى الخرائط توفر معلومات حول المكان: أنهار، سكك حديدية، طرق، مطارات، موانئ، مدن، بلدات. أما الأخرى فتكون متخصصة، كأن تعطي معلومات خاصة بالمناجم، وتظهر الأماكن التي استُغلّت تقليدياً. حتى الآن الفكرة معقولة، لكن كيف ستكون عباءة الخبير مختلفة عن طلاب ينظرون فقط إلى خرائط لاستقاء المعلومات كما هو حاصل في الطريقة التقليدية؟ أولاً، لن تكون الخرائط هي المرجع الأول المستَخدَم، وعندما تُستخدم فسوف تفكر مجموعة ذهنية من العاملين في الاستفسارات العميقة والمحددة التي (ربما بشكل عاجل) تتطلب أجوبة بسرعة اتصالات الهاتف، وليس عن طريق أخذ معلومات برويّة.

والآن، كيف يمكن إيجاد نقطة بداية محددة؟ لا أحد يمكن أن يفرض بالقوة مشروعاً تجارياً للعمل في الصين، لذلك يجب استكشاف الظرف الذي يحفز بشكل معقول شركة على العمل فيما وراء البحار. هذا هو السؤال المركزي، وفي هذه النقطة بالذات يبدو أن صناعة السيارات تبدو غير مناسبة لمعلمتنا، طالما أن الأمر متعلق بالأرباح والعمالة الرخيصة. ترى أي هدف يمكن أن يكون غير مجرد الربح؟ دعوة من الحكومة الصينية لإقناع الخبراء أن من المعقول أن يطلبوا استخدام معرفتهم في خدمة بلد آخر. ولدى التفكير ببلد آخر، يمكن أن يسمح لنا بتحديد السيارات وأهدافها ضمن رؤية جديدة، ربما لتطوير سيارة مناسبة للحياة والثقافة الخاصة بذلك البلد؟ ربما سيارة كهربائية تقوم على مبدأ عربة صغيرة بدولابين؟ سوف تقلّص بالتأكيد من الصعوبات التي تعترض الكثير من الناس. لكن على الطلاب ألا ينحازوا إلى الثقافة الصينية وطريقة الصينيين في صنع الأشياء. هذا الإطار يمكّن الخبراء من دراسة الترتيبات المعيشية للصينيين القرويين، وسوف يضم المواصلات وتقاليد العمل والمواقع والطعام والفلاحة. كما أن السيارات والعربات الصغيرة يوجد بينها اتصال منطقي. ففكرة عربة كهربائية يمكن توسيعها لتصميم سيارات إسعاف بسبب وعورة التضاريس، بحيث يكون لها صلة بتاريخ الصين في رعاية المرضى ومعالجتهم.

افحص النموذج الآن: الحكومة تمتلك السلطة لدعوة خبراء لتصميم شيء مهم لشعبها يتطور من شيء موجود في الثقافة الصينية. وعليه، فإن هذا الإطار لا يحابي أحداً – إنه شراكة.

ثمة مشكلة هنا، على أي حال. فالخبراء الذين يصنّعون المركبات سيدرسون ما كان مهماً لبناء آليات فعّالة ثم يغادرون، لن يهتموا بالضرورة بدراسة عميقة عن الصين! ومهما أطالوا في إجراء بحث عن الطرق والمنطقة والحمولة التي يجب نقلها، يمكن أن يبقوا معزولين (ومهانين) من جانب الصين كثقافة ذات تاريخ. من المؤسف أن يُضطر المرء للتنازل عن فكرة تصنيع سيارة، لكن عباءة الخبير يجب أن تتمسّك بوحدتها.

ماذا بشأن إدارة فندق لتدريب طاقم صيني فيما يختص بتوقعات السياح الغربيين؟ هذا يحصل في دول إفريقية، حيث يجب أن تكون الإقامة قريبة من الأدغال ومتنزهات اللعب. فالمتنزه يضفي ازدهاراً على الحاجة للإقامة، التي تتطلب في المقابل أناساً لخدمة الفندق من كل الجوانب. لكن كيف يمكن ملاءمة ذلك مع موضوع الصين؟ من سيكون الخبراء؟ لا يمكن أن يكونوا صينيين، لأنهم ترعرعوا في بلد آخر. هذا التفاف. على أي حال، يجب على الخبراء من العالم الغربي أن يجدوا أنفسهم بحاجة للتعلم عن الثقافة الصينية لكي يوجّهوا النصح للصينيين بشأن التوقعات الغربية. المشكلة هي كيف يمكن تمثيل طاقم صيني سيدير الفندق؟

فجأة هناك حل! على الطلاب أن يبحثوا في الثقافة الصينية كخبراء فندق متخصصين بتدريب أطقم في هذه الأجزاء من العالم التي يتمنى الناس زيارتها لأنها خاصة جدا –بالنظر إلى فنها، وتاريخها، ومواقعها الثقافية، وحيواناتها النادرة، واكتشافاتها، ومتاحفها، وطقوسها وشعائرها. ولأننا ندرب أناساً، يمكننا أن نكتشف نوع الموقع الذي ربما يتطلبه فيلم من هوليود– وحقيقية بالفعل حسب بحثنا. عباءة الخبير هذه لا تتطلب أي طاقم صيني، لأنها سوف تضع «مشروعاً اختبارياً». جرّب هذا النموذج:

- خبراء فندق غربيون يفهمون حاجات الزبائن الغربيين ومواقفهم يستجيبون لطلب من رابطة السياحة الصينية لبناء «مدرسة تدريب»/ فندق (ليس فندقاً حقيقياً).
- على الخبراء أولاً أن يبحثوا في الثقافة الصينية ليجهزوا الفندق بالشكل الملائم، آخذين بعين الاعتبار الأطعمة الصينية، والديكور، والتقاليد، . . . الخ.
- بعد ذلك عليهم أن يحضّروا دورات التعليم بعناية، بحيث يستطيع مجلس سياحة صيني أن يدير «الفندق» ويدرب أعضاء الطاقم لتلبية توقعات السياح الغربيين. وقد يتطلب ذلك إعداد أشرطة فيديو، وتحضير كتب بطريقة تعبير محددة، وتصميم قائمة بالأطعمة الصينية، تشجع الضيوف الغربيين على تذوق الطعام.

ويتيح جانب التدريب «للخبراء» دراسة الصين لتوفير خلفية موثوقة للزبائن (الذين يتوقعون فندقاً صينياً) وأعضاء طاقم (يعملون في فنادق صينية)! وبعمل ذلك، عليهم أن يفحصوا بعد ذلك توقعاتهم الثقافية

لتخطيط دورة تدريبية لتمكين أعضاء الطاقم الصيني من مساعدة السياح الغربيين، ليشعروا بالراحة والأمان وهم يتمتعون ويحترمون ويندمجون في الثقافة التي اكتشفوها.

هذا الغموض في مرحلة تخطيط عباءة الخبير نموذجي، ويمكن أن يبعث على القلق أكثر بكثير من النموذج المباشر للصورة المطوّرة من جانب معلمتنا الطالبة التقليدية. لكن كما رأيتم، فإن النتيجة رفيعة المستوى.

الهامش

* هذا الحوار هو إعادة صياغة لمناقشات غيفن الطويلة مع دوروثي وملاحظات دوروثي المكتوبة باليد. فهو ليس صيغة حرفية لمحادثة واحدة، وهو مستل من:

From "Drama for Learning", Dorothy Heathcote and Gavin Bolton, Heinmann 1995 United States of America.

دوروثي هيثكوت (1926): بدأت حياتها في المسرح، وتحولت إلى معلمة، وقد وظفت الدراما في مجال تعليمها، تعتبر دروثي مبتكرة أسلوب «عباءة الخبير»، وهو أسلوب يمزج ما بين الدراما والتعليم عبر فكرة تخطيط المشروع وبنائه، ولا يحتاج إلى خبرة كبيرة في الدراما من قبل المعلمين. عملت في العديد من الجامعات في بريطانيا، وألفت العديد من الكتب، وتعتبر رائدة في هذا الحقل.

غيفن بولتن: علّم في العديد من المدارس البريطانية، وأصبح مستشاراً في مجال الدراما في الهيئة التربوية الرسمية لمدينة دورهام، ودرّس في جامعتها. عمل بروفسوراً مساعداً في جامعة فيكتوريا في كولومبيا البريطانية وبروفسورا زائراً في جامعة نيويورك وجامعة وسط إنجلترا في بيرمنجهام (UCE). أصدر العديد من المؤلفات في مجال توظيف الدراما في التعليم منها **الدراما من أجل التعليم**، بالاشتراك مع دوروثي هيثكوت، كما أصدر كتاباً بعنوان **نظرات جديدة في الدراما الصفية**، ومؤخراً صدر له كتاب بعنوان **التمثيل في حجرة الصف – تحليل نقدي**.

من ورشة «توجهات وطرائق جديدة في البحث التربوي» التي نظمها المركز بإشراف الدكتور أندريه مزاوي من جامعة بريتيش كولومبيا – فانكوفر في كندا.